ويهيب شوقى – من وراء أساه على الماضى الضائع – بعزائم أهل وطنه ، وبالعرب جملة ، كى يلتفتوا إلى تلك الأمجاد ويتعظوا بها ، ويشدوا عزائمهم . وموقفهم منها موقف الوارث المضيِّع من ملوك الطوائف حين فقدوا فردوسهم فى الأندلس ، وفى حديث شوقى عن خروج هؤلاء من الأندلس نفثة يأس ذات طابع اجتماعى وجدانى ضخم ، يحس فيها فى نفس الوقت بلذعة أسى النفى من وطنه فيما يشبه نفى أولئك الأجداد ، ونحس بهذا الشعور الذاتى الوجدانى الكبير فى هذه الصورة التى تتجاوب فيها أصداء نفسه فى وجدانه الذاتى ، وفى موقفه فى وجدانه الاجتماعى الممثل لموقف أمته من ماضيها الوطنى والعربى جملة ، وذلك فى قوله :

خرج القوم فى كتائب صُمٍّ ... عن حفاظ كموكب الدفن خرس
ركبوا بالبحار نعشاً ، وكانت ... تحت آبائهم هى العرش أمس
رب بان لهادم ، وجموع ... لمشت ، ومحسن لمخس
إمرة الناس همة لا تأنى ... لجبان ، ولا تسنى لنكس

فإذا وازنا بين قصيدة البحترى وقصيدة شوقى ، غافلين عن الفرق الكبير بين موقف كل منهما ، وحصرنا همنا فى تشابه الموضوع فى القصيدتين ، كان لابد أن تنتهى الموازنة إلى نتائج خاطئة ، لأن موقف شوقى أملى عليه صوراً عميقة المعنى ؛ جليلة الشأن ، متصلة بوجدان اجتماعى واسع النطاق ، فاستمدت روعتها وعمقها من هذا الموقف الذى يندر مثله فى الشعر العربى ؛ ولا تتضح دلالته العميقة إلا إذا اعتددنا بالموقف لدى كل من الشاعرين ؛ على الرغم من أن شوقى قد تأثر بالبحترى فى بعض الصور ؛ وفى استلهام روح الموضوع العامة .

وقد غاب عن النقاد الذين وازنوا بين القصيدتين السابقتين معنى الموقف،كما